

تعديل السلوك من خلال القصة بين القرآن الكريم و الشعر القديم
(دراسة تحليلية مقارنة)

**Modifying Behavior Through The Story Between The Holy
Quran And Ancient Poetry(A Comparative Analytical Study)**

مسعود سراج

جامعة غرداية (الجزائر) ،كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة والأدب العربي

Sirajmsddz@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023-10-27 تاريخ القبول: 2024-01-18 تاريخ النشر: 2024-06-06

ملخص:

مقال وصفي تحليلي و تعليمي يسلط الضوء على جانب من إسهام القصة و دورها الوظيفي المتمثل في مساهمتها كأداة تعليمية بإمكانها أن تكون عنصرا فعالا مؤثرا في التوجيه الأخلاقي . يتم ذلك بعيدا عن القصة كفن أدبي له قواعده وشروطه و مظاهره و إنما يتجه حديثنا عن القصة بوجهيها الشعري القديم من جهة و القرآن من جهة و ما زخرت به هذه النصوص الشعرية من الأحداث و الشخصوس و طبائعها في هذا الاتجاه و مدى تأثير ذلك على السلوك البشري محاكاة و تأثرا و ذلك بالمقارنة مع ما ورد في القرآن من قصص كان القصد منها وظيفيا كما صرح القرآن الكريم ذاته " وكذلك نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك" و أيهما يكون أشد تأثيرا في هذا الاتجاه مع محاولة استكشاف ذلك و الأسباب المؤثرة فيه

كلمات دالة : شعر قديم ، سلوك ، تعديل ، المقامة ، القصة ، الحدث ، شخصوس

Abstract:

A descriptive, analytical and educational article that highlights an aspect of the story's contribution and its functional role represented by its contribution as an educational tool that can be an effective and influential element in moral guidance. This is done away from the story as a literary art that has its rules, conditions, and manifestations, but our talk is directed to the story with its ancient poetic sides on the one hand, and the Qur'an on the one hand, and what these poetic texts are replete with of events, characters and their nature in this direction and the extent of its impact on behavior Al-Bishri is simulated and influenced by comparison with the stories reported in the Qur'an, whose intention was functional, as the Holy Qur'an itself stated, "And we also narrate to you from the news of the Messengers what we strengthen your heart with." in it

Key words:

Old poetry, behavior, modification, setting, story, event, character

مقدمة

لا تخلو حياة الناس الاجتماعية على وجه العموم من وقائع و أحداث تمر بها . بعضها يكون عفويا وبعضها الآخر قد يفرض عليهم فرضا من واقع معيشتهم. بعض هذه الاحداث والوقائع يحكى بمجرد مروره وبعضها الآخر قد يكون ذا أهمية يحتاج التسجيل بأية طريقة أو وسيلة كانت حتى أنه لتتناقله الأجيال المتعاقبة كل بحسب زاوية رؤيته إليه ومن هنا تنشأ ثروة قصصية تروى لللاحقين آثار من سبقوهم .

ولعل الاستفادة من هذه الظاهرة تصبح ضرورية للتأثير على السامع أو القارئ ومن هنا ربما كانت نشأة القصة في الآداب القديمة وخاصة الوجه الشعري منها حيث سجل لنا من ذلك الكثير. وكذلك كان حال القرآن الكريم الذي اتخذ من القصص أداة للتبليغ قصد التأثير في سلوك من يقرأه خاصة إذا عرفنا أن النص القرآني له أسلوبه المتميز في الطرح والمعالجة مع ما يتميز به من سمو جمالي في التعبير.

القصص :

لغة : هذه المفردة مشتقة من مادة " ق. ص . ص " وهي عند علماء المعجم ثلاث أحرف هي ق . ص . ص أو صوتان ق. ص (القاف و الصاد) يأتي منها فعل قص يقص قصا وهو ذو معان متعددة تفهم من الكلام بحسب السياق كقص الخبر أي رواه و قص الشعر بالمقص أي جزه أو قطعه وقص الأثر أو إقتضه على صيغة افتعل أي اتبعه " و قالت لاخته قصيه " (الآية 11 سورة القصص) و هذا ما يسميه أهل اللغة بالاشتراك اللفظي و هو أمر يحصل حين تحمل المفردة الواحدة عدة معان تصرف في الكلام بحسب السياق الذي يخوض فيه المتكلم .و في منجد اللغة و الأعلام للويس معلوف أكثر من عمود في سرد هذه المعاني لفعل قص منها قوله "قص قصصا عليه الخبر حدثه به و قص قصا و قصصا أثره : تتبعه شيئا فشيئا" . المنجد في اللغة و الأعلام للويس معلوف ص631

اصطلاحا : فالقصص فن من فنون الأدب قد يأتي شعرا أو نثرا و منه القصة و تجمع على قصص بكسر القاف على وزن فعلة التي تجمع على فعل كعدة وعدد . سكة سكك . ملة ملل .وهي تبنى على عناصر رئيسية هي الحدث و البطل و الزمان و المكان ...و القعدة و السرد و الحوار ... تختلف النهايات فيها بحسب رغبة القصاص كأن يوجد للعقدة حلا يريح القارئ أو يتركها معلقة تجعل القارئ يتصور لها حلا و هي براعة من المؤلف تجعل هذا القارئ يشارك في بناء القصة من خلال تصويره للحل . جاء في قاموس مصطلحات الأدب القصة سرد حوادث و أخبار حقيقية أو مختلقة بطريقة فنية شائقة . و أهم شيء في القصة عنصر التشويق ... قاموس مصطلحات الأدب محمد بو زواوي ص 212

وقد جاء في مقال محمد صالح ممتدى إلكتروني ما نصه : أما القصة "اصطلاحاً": فتعرف بأنها "عمل فني يمنح الشعور بالمتعة والبهجة، كما يتميز بالقدرة على جذب الانتباه والتشويق، وإثارة الخيال، وقد تتضمن غرضاً أخلاقياً، أو لغوياً، أو ترويحياً، وقد تشمل هذه الأغراض كلها أو بعضها".

حجمها : للقصة أحجام مختلفة بحسب موضوعها و ما يتوخاها منها المؤلف و لكل لون من هذه الألوان اسم يعرف به فأطولها نصاً أو أكبرها حجماً هي الرواية وهي عمل قد يتسع لعشرات الصفحات إن لم نقل المئات تتعدد فيها الأحداث و الأبطال و الأزمنة و الأمكنة و قد تروي حياة مجتمع بأكمله .

و منها القصة القصيرة و هي أقل حجماً من سابقتها بكثير و اتقاء للإطالة نعرض عن التفصيل في نشأتها

ودونها حجماً الأقصوصة و هي أقصر بكثير حتى من القصة القصيرة قد تحمل حدثاً واحداً في زمن محدد ينجزه بطل مفرد . ثم الحكاية و هي أقصوصة أسلوبها سردي وهناك من أهل النقد من يضم النص المسرحي إلى صنف القصة و إن كانت له مقتضياته الخاصة به كونه يؤلف ليعرض على خشبة وهو ما يستدعي بناءه بطريقة تجعله موافقاً لهذه الوضعية . له من الصفات ما يشترك به مع القصة و له من الخصائص التي يختلف بها عنها أيضاً

هدف القصة : غالباً ما تكون القصة الأدبية ذات هدف فني غايته المتعة و إن كان يؤدي على الهامش أحياناً بعض الرسائل و الأهداف الاجتماعية في إطار تصوير ما يقع . أو عرضه بطريقة غير مباشرة خاصة في زماننا الحاضر حين انتشر هذا اللون الأدبي و برع فيه كثير من ذوي الاختصاص الذين بنيت شهرتهم و مكانتهم الاجتماعية على ما قدموه فيه كما و كيفاً . و الأسماء في هذا المجال كثيرة لا سبيل لحصرها مثل توفيق الحكيم و نجيب محفوظ و بعض من هم عندنا مثل الطاهر وطار و رشيد بوجدرة وغيرهما دون وضع أعمالهم في ميزان الأخلاق لأن بعضهم له أعمال منحطة و لا تنسجم مع الذوق السليم .

و نقول على العموم إن أغلب القصص من حيث جوهرها خاصة الأدبية منها مصطنع ينشئه المؤلف من خياله سواء على مستوى الشخص أو الأحداث و إن كان بعضهم يستند فيه إلى أحداث حقيقية و أحياناً أشخاص حقيقيين مع تغيير الأسماء و الأماكن و الأشخاص و تكييف وضعياتهم حتى تنسجم مع هدفه الفني .

تاريخ القصة : القصص لون أدبي موغل في التاريخ إلى درجة أن بعضها انتقلت من لغة إلى أخرى و خفيت فيها آثار مؤلفيها فاختلف الناس حول نسبتها تأخذ من ذلك مثلاً . قصص كليلية و دمنة التي صيغت على ألسن الطير و الحيوان كان الهدف منها ترميز بعض

الحكم و العظاات . و المعلوم عن هذا الكتاب أنه هندي الأصل رست نصوصه على اللغة العربية في العصر العباسي و قد جاء في تصديره

هذا الكتاب أدب ومحنة و هو المسمى بكليلة دمنة

فيه حكايات و فيه رشد و هو كتاب وضعته الهند ...

تاريخ كتاب «كليلة ودمنة» في الآداب الشرقية والغربية (عبدالحاميد صبحي ناصف)

مايو 30, 2013

وعلى غراره هناك كتاب ألف ليلة و ليلة و هو أيضا من أقدم الكتب المعروفة في تاريخ البشرية رست نصوصه أخيرا على اللغة العربية زمن ازدهار هذه الحضارة بل أضيفت إليه نصوص ذات روح عربية بما تضمنه من الأشخاص و الأماكن العربية و كذلك ما زخر به من الشعر العربي .

ومثل ذلك في العصور الزاهية للأمة العربية الإسلامية ما ألفه الجاحظ عمرو بن بحر في بخلائه و هي ذات طابع تربوي يستهدف السلوك قصة (معاذة العنبرية) . و رسالة الغفران لأبي علاء المعري ق5

هناك أيضا في تاريخ الأمة القديم ما يعرف بالمقامات وهي نصوص قصصية قصيرة نشأت في القرن الرابع الهجري على يد أديب متمرس عارف باللغة يدعى بديع الزمان الهمداني وهي تحمل طابع القصة بكل حذافيره إلا أنها تختلف عن القصة القصيرة في شيئين أولهما الهدف بحيث كان المتوخى منها تعليم اللغة خاصة في جانبها المعجمي وذلك من خلال ما يشحن به النص من غريب الألفاظ و ثانيهما جانبها الشكلي بحيث يبالغ المؤلف في بنائها بطريقة مسجوعة " المقامة البغدادية " انتهت الأزاذ. وأنا ببغداد . و ليس معي عقد على نقد " ... وقد تطور هذا اللون القصصي حتى بلغ أرقى درجاته على يد الفقيه أبي القاسم الحريري و هو من اعلام القرن الخامس الهجري و مقاماته مشهورة

تبقى الإشارة في الأخير تاريخيا إلى أن الأدب العربي القديم قد عرف هذا اللون الأدبي (القصص) كان ذلك في شكل شعري إلا أن أغلب موضوعاته كان إلى الأسطورة و الخيال أقرب . إذا لم تكن أحداثه في حال افتراض وقوعها مبالغا فيها .

فمن ذلك ما قاله الشاعر بصف جلسة له مع الجن في مفازة من الأرض و هو بصدد تحضير عشائه

ونار قد حضأت بعيد هده
سوي تحليل راحلة وغير
أنا ناري فقلت منون أنتم
فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
بدار ما أريد بها مقاما
أكاله مخافة أن يناما

فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ نَحْسَدُ الْإِنْسَ الطَّعَامَا

الكتاب : خزانة الأدب . المؤلف : عبد القادر البغدادي .

مصدر الكتاب : موقع الوراق (2/323) (<http://www.alwarraq.com>)

وحكاية الأعرابي الآخر الذي لقي الغول و أجرى معها حوارا و مبارزة إنتهت أخيرا إلى تغلبه عليها

لهان على جهينة ما ألقى ... من الروعات يوم رحى بطان
لقيت الغول تسري في ظلام ... بسهب كالعباية صحصحان
فقلت لها كلانا نقض أرض ... أخو سفر فصدي عن مكاني
فصدت وانتحيت لها بعضب ... حسام غير مؤتشب يماي
فقد سراتها والبرك منها ... فخرت للبدن وللجران
فقلت زد فقلت رويد إني ... على أمثالها ثبت الجنان
شدت عقالها وحططت عنها ... لأنظر غدوة ماذا دهاني
إذا عينان في وجه قبيح ... كوجه الهر مشقوق اللسان
ورجلا مخدج ولسان كلب ... وجلد من فراء أو شنان

. (بمجة المجالس وأنس المجالس . المؤلف : ابن عبد البر . مصدر الكتاب : موقع الوراق (1/213)
ولعل في ذلك إشارة إلى بعض معتقدات الأعراب قبل الإسلام و ما كان يدور في المجتمع
من الأساطير إضافة إلى براعة التصوير و التلفيق

ومما يقترب من الحقيقة شعرا ما روى بشر بن عوانة العبدي حين سافر لإحضار مهر
لفاطمة بنت البكري فاعترض طريقه أسد فصاوله ثم قتله وقدم القصيدة في نص شعري
أَفَاطَمَ لَوْ شَهِدْتَ بَبِطْنِ خَبِتْ وَقَدْ لَاقَى الْهَزْبِرَ أَخَاكَ بَشْرَا
إِذْنِ لَرَأَيْتَ لَيْثَا رَامَ لَيْثًا هَزْبِرَا أَغْلَبَا يَبْعِي هَزْبِرَا
تَبْهِنْسَ إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مَهْرِي مَحَاذِرَةً فَقُلْتُ عَقَرْتُ مَهْرَا
أَنْلَ قَدَمِي ظَهَرَ الْأَرْضَ إِنِّي وَجَدْتُ الْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرَا ...
وَأَنْتِ تَرُومِ لِلْأَشْبَالِ قُوتَا وَمَطَّلِي لَبْنَتِ الْعَمِّ مَهْرَا ...
هَزَزْتَ لَهُ الْحَسَامَ فَخَلَّتْ أُنِي شَقَقْتُ بِهِ لَدَى الظُّلَمَاءِ فَجْرَا
وَجَدْتُ لَهُ بَطَاشَةً رَأَهَا لَمَنْ كَذَبْتَهُ مَا مَتَّهَ غَدْرَا
بَضْرِبَةٍ فَيَصِلُ تَرْكُتَهُ شَفْعَا وَكَانَ كَأَنَّهُ الْجُلُودُ وَتَرَا
المكتبة الشاملة الحديثة . أرشيف ملتقى أهل الحديث. (ج 131 ص 272)

و للخطيئة و هو الشاعر المخضرم نص شعري يحكي قصة من قصص الكرم في المجتمع العربي القديم و كيف كانت هذه الميزة الأخلاقية مثلاً أعلى لديهم و قيمة من القيم الاجتماعية الراسخة فيهم يؤمن بها حتى أطفالهم و يدافعون عنها و يضحون في سبيلها بأنفسهم

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمِلٌ *** بتيهاء لم يعرف بها ساكن رَسْمَا
أخي جفوة فيه من الإنس وحشة *** يرى البؤس فيها من شرابته نَعْمَا
وأفرد في شعب عجوزاً إزائها *** ثلاثة أشباح تخالهم بمَمَا
رأى شبهاً وسط الظلام فراعَه *** فلما بدا ضيفاً تسور واهتما
وقال ابنه لِمَا رآه بحيرة *** أيا أبت إذ يحني ويسير له طُعْمَا
ولا تعتذر بالعدم على الذي طرا *** يظن لنا مالا فيوسعنا ذِمَا
فروى قليلاً ثم أجحَم برهة *** وإن هو لم يذبح فناه فقد هما
فبينما هما عنت على البعد عانة *** قد انتظمت من خلف مساحلها نظماً
عطاشاً تريد الماء فأنساب نحوها *** على أنه منها إلى دمها أطْمَا
فأمهلها حتى تروّت عطاشها *** فأرسل فيها من كِنَانَتِه سَهْمَا
فخرّت نحوص ذات جحش سميئة *** قد اكتنبت لحماً وقد طبقت شحْمَا
فيا بشره إذ جرّها نحو قومه *** وبيا بشرهم لما رأوا كلمها يَدْمِي
فباتوا كراماً قد قضوا حق ضيفهم *** فلم يغموا غموا وقد غنموا غنْمَا
وبات أبوهم من بشاشته أبا *** لضيفهم والأُم من بشرها أُمَا
(ص425 - كتاب في تاريخ الأدب الجاهلي - في الحياة والناس - المكتبة الشاملة الحديثة)

وإنما أوردنا نص الخطيئة كاملاً لما حمله من مواصفات القصة القصيرة بحذاقها حيث اشتمل على كل العناصر المشتركة فيها من حدث و بطل و زمان و مكان إضافة إلى العقدة التي هي مدار العمل القصصي خاصة في شكله القصير و التي انتهت بحل كما هو ظاهر من خلال نهايته . هذا و الحديث عن القصص في الأدب عموماً وفي الأدب العربي خصوصاً لا يمكن أن نغضيه في مقال قصير مثل هذا إلا أننا حاولنا أن نعطي صورة تنويرية لهذا الفن في موروثنا الحضاري قديمه و حديثه.

أما عن القصص القرآني وأثره في توجيه السلوك البشري فنقول إن القصص في القرآن الكريم آلية من آليات التبليغ و هي كثيرة - أي هذه الآليات - كما يرد في الأمثلة الآتية

1- الأمر المباشر : " خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين " (سورة الأعراف

(الآية 199)

- " يا أيها المدثر قم فأندِر و ربك فكبر و ثيابك فطهر و الرجز فاهجر و لا تمنن تستكثر و ربك فاصبر " (المدثر الآية (1.2.3.4.5.6.7))
- 2- **النهي المباشر :** " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل و تدلوا بها إلى الحكام " (سورة البقرة الآية 188). " ولا تقف ما ليس لك به علم (سور الإسراء الآية 36) . " ولا تجعل مع الله إلهاً آخر " ¹¹ سورة الإسراء الآية 39. " و لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن " (سورة الأنعام الآية 152) .
- **الإرشاد:** " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون و الذين هم عن اللغو معرضون و الذين هم للزكاة فاعلون و الذين هم لفروجهم حافظون إلا.. " (سورة المؤمنون الآية (1.2.3.4.5))
- **النصح في شكل أمر :** سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (الحديد: 21)
- **التحذير :** "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم" (سورة النور الآية 63) .
- **ضرب المثل :** " واضرب لهم مثلاً رجلاً فيه شكاء متشاكسون و رجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً " (سورة الزمر الآية 29)
- **الترغيب و التهيب :** " فأما من أعطى و اتقى و صدق بالحسنى فسنيسره لليسرى و أما من بخل و استغنى و كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى و ما يغني عنه ماله إذا تردى " (سورة الليل الآية (5.6.7.8.9.10.11))
- **الإنذار :** " فأندرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب و تولى .. " (سورة الليل الآية (14.15.16))
- إن أساليب التبليغ في القرآن كثيرة لا مجال لحصرها الآن و إنما أوردنا ذلك على سبيل الإشارة إلى السياقات التي تجري فيها هذه العناصر و كلها بديع مؤثر. إنه القرآن الذي لا تنقضي عجائبه أما القصص في القرآن فشأنه عظيم أيضاً كونه استحوذ على مساحة كبيرة من هذا النص البديع فقد انتشر في ثناياه موزعا على سور كثيرة بدءاً من أوائل المصحف في سورة البقرة و ما جاء فيها عن القصة الخلق الأولى و كثير مما روي من أحداث في بني إسرائيل و أنبيائهم و صولاً إلى أواخره في تلك اللوحة الموجزة عن حياة قريش قبل الإسلام و نمط تنقلاتهم التجارية و وضعيتهم المستقرة استثناء لما كان يحيط بهم من حياة العنف و الحرب بين سكان الجزيرة " لإيلاف قريش إيلافهم رحل الشتاء و الصيف فليعبدوا ربهم الذي أطعمهم من

جوع و آمنهم من خوف " (سورة قريش) وفيه كما نرى من من الله و تذكير بالنعم التي تستوجب الطاعة ردا للجميل وهي قيم عظيمة في الخلق الإنساني تبناها الإسلام و دعا إليها . وتوطئة لعرض بعض النماذج من القصص القرآني و ما نتج عنه من دعوة إلى القيم التي هي من صميم ما جاء به الدين الحنيف تجدر الإشارة إلى عرض بعض الخصائص التي يمتاز بها هذا القصص

1- فهو بالمقارنة إلى ما عرفناه عن القصص الأدبي قد لا يختلف عنه كثيرا من حيث العناصر . فالقصة القرآنية فيها حدث و بطل و زمان و مكان و حوار و سرد و عقدة و حل ... على غرار ما هو معروف في القصة الفنية

2- إن الهدف من القصص القرآني هو أنه عنصر بلاغ لفكرة معينة و هي قيمة من القيم التي يدعو إليها الدين أما باقي العناصر الأخرى فمكفولة بحكم كونها جزء من النص الذي هو في النهاية القراءان الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و بالتالي فإن النص القرآني منزّه عن أن يكون الهدف منه المتعة الفنية مع أنها تحدث بالضرورة للقارئ بحكم جمال بناء هذا النص لغويا عموما

3- إن أحداث القصص القرآني واقعية أي مستمدة من الواقع قطعية الحدوث لا يمارى فيها موار و ينبغي أن يكون ذلك جزء من عقيدة المسلم فرضا واجبا و إلا فإنه يأثم بالشك فيه .

4- إنه منقسم من حيث المكان إلى غيب و حاضر فالغيب نعني به العالم العلوي كعالم الملائكة مثلا و الجنة و النار و تنقسم أحداثه إلى ثلاث أصناف بعضها وقع كقصة الخلق و ما دار من حوار بين الملائكة والمولى عز وجل في مسألة الاستخلاف " وإذ قال ربك للملائكة .. "(سورة البقرة الآية 30) في سورة البقرة فهي قصة مكتملة بجميع عناصرها و بعضها سوف يقع يقينا إلا أنه بعد يوم القيامة" آخر سورة الزمر " . "وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ...وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ... الحمد لله رب العالمين "(سورة الزمر الآية (71.72.73))

وكذلك ما جاء من حوار بين أهل الجنة و أهل النار في فواتح سورة الأعراف وما دار بينهما و ما جرى من الأحداث

و بعضها الآخر وقع للبعض و سوف يقع لغيره فهو متكرر مع كل نفس بشرية أعني بذلك الحديث عن مشهد خروج الروح من الجسد يوم وفاة كل البشر و ما يحضره من الملائكة المكلفين بمعالجة هذا الموقف

و أما الحاضر فنعني به العالم السفلي و أغلب أبطاله بشر منهم الأنبياء و الرسل ومنهم الأقوام العاديون ومنهم الصالحون ومنهم عتاة البشر كالحكام و المستكبرين ومنهم المستضعفون وكل منهم له حدث يتعلق بحياته يكون في النهاية أنموذجا للتأسي بما حصل إزاءه سواء إعجابا أو إنكارا و ما ينتج عن ذلك من قيمة أخلاقية ترسخ في ذهن القارئ بعد استيعابه للقصة وأما من حيث الزمن فأحداث القصص في هذا العالم فمنقسمة أيضا إلى قسمين على الأقل فبعضها قديم وقع للأمم والأفراد على حد سواء كان ذلك قبل نزول القرآن الكريم وبعضها الآخر حاضرو هذا باعتبار زمن نزول الوحي كبعض غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم . يوم الفرقان . غزوة حنين . هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم هو و صاحبه . غزوة الأحزاب...

5- الأحداث في القصص القرآني كلها عظيمة ذات أهمية بحسب ما يترتب عليها من نهايات تستحق أن تكون أنموذجا للأخلاق أو المواقف التي يؤثر سماعها في سلوك من يطلع عليها

6- من خصائص القصص القرآني أن الأحداث يأتي بعضها مفصلا أحيانا كما حصل في قصة موسى عليه السلام

في كثير من السور ابتداء من سورة البقرة و ما حصل له مع قومه بني إسرائيل من مواقف متقلبة والتي تكررت في سور أخرى كآل عمران و الأنبياء و القصص و الإسراء و غيرها من السور الأخرى و بعضها يكون مختصرا جدا وبناء على هذا الحجم فإنه بإمكاننا أن نصف بعضها في مقابل الرواية لما تعج به من الأشخاص و الأحداث و بعضها يقابل القصة القصيرة وبعضها لشدة اختصاره يمكن أن يقابل الأقصوصة وبعضها يقابل الحكاية " ألم ترى كيف فعل ربك بأصحاب الفيل " (سورة الفيل)

7- أسلوب القصص القرآني بديع من حيث عرضه فهو يأتي في سياق لغة القرآن الكريم المعجزة وقد قرر ذلك هو ذاته في قوله تعالى " نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن " (سورة يوسف الآية 3) و يجب أن يكون هذا الوضع جزء من عقيدة المسلم

كيف تجسدت الدعوة إلى الأخلاق و القيم من خلال القصص القرآني ؟

لا شك أن وراء كل قصة في القرآن الكريم - طال أو قصر نصها - حكمة تستخلص منها إما بالدعوة إلى فضيلة و قيمة سامية أو نهي عن رذيلة أو خلق ذميمة و بما أن القصص في القرآن الكريم شغل حيزا كبيرا فإن الوقوف عليه كله أمر صعب جدا لذلك فإننا سوف نقتصر على بعض النماذج نضرب من خلالها المثل لدور القصص القرآني في ترسيخ القيم و الأخلاق الحميدة غير معتمدين في ذلك على الترتيب العمودي كما ورد في القرآن الكريم

1- **الاعتقاد بأن النصر من عند الله** وهو اعتقاد بالنصر منه تعالى مهما كانت أسبابه متوفرة اعتمادا على قوله تعالى " إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده " (سورة آل عمران - الآية 160)
مع أن ذلك لا يغني بالضرورة التخلي عنها بحكم ما تدعو إليه منها بعض الآيات كقوله تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ... " (سورة الأنفال الآية 60)
دون تخل عن الجانب الروحي الذي هو الأساس القاعدي لحصول النصر فمثلا في الإيمان بالكيف الذي دعا إليه النص القرآني تصرّحا لا لبس عليه كقوله تعالى من خلال النص الشرطي " إن تنصروا الله ينصركم " (سورة محمد الآية 7)
هذا المبدأ مقرر في بعض القصص القرآني من خلال أن ما نراه مدعاة للنصر ليس هو كذلك مالم يقتزن بما اشترطه فالكثرة ليست بالضرورة سببا للنصر و القلة ليست بالضرورة سببا في الهزيمة : " ألم تر إلى الملائم من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم أبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ... فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ... " (سورة البقرة الآيات 246-247-248-249)

تمضي القصة في هذا الاتجاه حتى يتحقق المبدأ "ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا و ثبت أقدامنا و أنصربنا على القوم الكافرين فهزمهم بإذن الله... " (سورة البقرة الآية 250)
ومثل ما حصل هذا مع الفئة القليلة حصل عكسه مع الفئة الكثيرة وذلك ما قرره القرآن من خلال قصة أخرى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما تسلل إلى نفوس بعضهم أن الكثرة قد تكون أساس النصر إلا أن الواقع غير ذلك كما توضح الآيات " ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم من الله شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. " (سورة التوبة الآية 25)

وأنت ترى أن هذه الآيات قررت قيما كثيرة منها :

- 1- عدم الاغترار بالقوة المادية من خلال العجب بالنفس و ما توفر من الوسائل .
- 2- اللجوء إلى الله عند الشدائد .
- 3- التزام الصبر والثبات "ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصربنا على القوم الكافرين فهزمهم" (سورة البقرة الآية 251)

2- **بر الوالدين** :وهو طاعتهما إن كانا مؤمنين و مصاحبتهما بالمعروف فيها سوى ذلك فقد جاءت الآيات صريحة في الدعوة إلى هذه القيمة العظيمة بل قرنت أحيانا في بعض ثنايا

القرآن الكريم بمبدأ التوحيد و خاصة الإيمان " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا ... " (سورة الإسراء الآية 23)

هذا من باب الدعوة الصريحة أما في مناطق أخرى من القرآن الكريم فهناك إشارات إلى نماذج تطبيقية مثل ما جاء عن يحيى عليه السلام في سورة مريم وما أنعم الله به عليه من الخصال الحميدة "وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا" (سورة مريم الآية 13.14) وانظر إلى موقع هذه الخصلة في سلسلة النعم التي من الله بها عليه. وكذلك حال عيسى بن مريم" قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا " (سورة مريم الآيات 30-31-32)

وتبلغ هذه القيمة ذروتها تطبيقا مع إسماعيل وقصة الذبح التي ابتلاه الله بها هو و أباه إبراهيم عليهما السلام بحيث تكون تمام الحلم في طاعة الوالدين قال تعالى " قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت أفعل ما تومر ستجدني إن شاء الله من الصابرين " (سور الصافات الآية 102) و في هذه القصة قيمتان

- 1- أولاهما التسليم لأمر الله من قبل إبراهيم عليه السلام
- 2- وثانيهما طاعة الولد للوالد و كلاهما أنموذج للصبر كذلك رغم شدة البلاء و هو ما لا يفعله إلا عظماء الرجال مثل الأنبياء فهل يطيع غيرهم والديهم فيما دون ذلك ؟
- 3- مبدأ شكر النعمة سبيل للزيادة فيها أما بطرها و الإغترار و التجبر بها على الناس فإنه سبب في سرعة زوالها " و إذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم و لئن كفرتم إن عذابي لشديد " (سورة ابراهيم - الآية 7) و إن كانت هذه الآية في سياق الكلام عن بني إسرائيل إلا أنه يجوز تعميمها لما تشترك فيه للأنفس البشرية من الخصائص

و أما في القصص القرآنية فهناك ما يعضد هذه اللازمة القيمية في ثلاثة مواقع :

- 1- قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف " واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً كلتا الجنتين آتت أكلهما ولم تظلم منه شيئا " (سورة الكهف الآية 32) 'ومضى الحوار بين الطرفين فكلما ذكره صاحبه بأن الأمر ليس بيده و إنما هو من عند الله و هو ما يستوجب ان يتواضع فيه له ربما ازداد تعنتا غير مدرك لفعله هذا إلى أن فاجأه ما لم يكن يتوقعه " وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها و هي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله و ما كان منتصرا " (سورة الكهف الآية 42-43)

2- مثله في ذلك مثل قارون في قوله تعالى " إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ... " (سورة القصص الآية 76)

وبعضي الرجل في خيالاته مغترا بما عنده و الناس من حوله منقسمون ما بين مغتبط بما عنده متمن أن يكون مثله و آخر بصير بتقلبات الدنيا و مكائدها صارفا نظره و أمنياته إلى ما عند الله و هو على حق إلى أن يأتي فجأة ما لم يكن في الحسبان " فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله و ما كان من المنتصرين " (سورة القصص الآية 81) ، وهي النهاية التي انتهت إليها صاحب الجنتين كما سبق و الذي لم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا

3- ما يحصل للأفراد قد يحصل للجماعات إذا تشابهت المواقف لأن القانون واحد فانظر إلى أهل سبأ و قصتهم و العبرة منها " لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين و شمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل حُمط و شيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكفور " (سورة سبأ الآية 15)

4- مبدأ الحجة و استعمال المنطق العقلي أثناء المحاورة أو الدفاع عن فكرة بدل الجدل و العنف خاصة ما تعلق بعرض الدين و الدعوة إلى الله " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن " (سورة النحل 125) " و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم " (سورة العنكبوت الآية 46)

- كان ذلك من خصائص سيدنا إبراهيم عليه السلام في قضيتين :

1- حوار مع الحاكم الظالم (النمرود) أفحمه من خلال المنطق " ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي و يميت قال أنا أحيي و أميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر و الله لا يهدي القوم الظالمين " (سورة البقرة 258)

و إنما المقصود هنا بالظلم الظلم الأكبر وهو الشرك بالله و من مظاهره أن يستشعر الإنسان أنه قادر على فعل ما يفعله الله. متناسيا أن ما عنده كله من عند الله إن شاء سلبه منه في أقل وقت لا يستطيع أن يلوي منه على شيء و من هنا فإن حجته ضعيفة أمام عظمة الله .(ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير الجزء الأول صفحة 490 وما يليها ج 1 .1985م)

ومثل ذلك ما حصل من استخدام للكذاء في مغالبة عبدة الأصنام يقول تعالى " ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل و كنا به عالمين " (سورة الأنبياء الآية 51)

5- الأخوة الحقيقية هي أخوة الإيمان و الدين فاللقاء يكون فيه و الافتراق يكون عليه و ما سوى ذلك فباطل باطل " إنما المؤمنون إخوة " (سورة الحجرات الآية 10). " فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين و مواليتكم " (سورة الأحزاب الآية 5). " و الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا " (سورة احشر الآية 10)

هكذا تدعو نصوص القرآن صراحة إلى هذا المبدأ أما القصة فيه فتقرره تطبيقاً فما الذي حصل لنوح مع ابنه يوم الطوفان يقول تعالى : "... وهي تجري بهم في موج كالجبال و نادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا و لاتكن مع الكافرين قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم و حال بينهما الموج فكان من المغرقين ... و نادى نوح ربه قال رب إن ابني من أهلي و إن وعدك الحق و أنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم و إلا تغفر لي و ترحمني أكن من الخاسرين " (سورة هود الآية 42.43.45.46.47)

إنه التسليم المطلق و الاختناع التام أن العلاقة الحقيقية التي يجب أن تربط الإنسان بأخيه الإنسان ينبغي أن تكون مبنية على هرم صلب قاعدته التي بنيت عليها هي الإيمان فهل منا من يستطيع أن يجعل حكمه في أقاربه كحكم نوح مقياسه في ذلك القرب و البعد من الله ..

خاتمة:

هذه نماذج عرضناها من هدي القرآن الكريم من خلال ما ورد فيه من القصص. و القرآن الكريم كله " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " (سورة البقرة الآية 2). " يهدي للتي هي أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً " (سورة الإسراء الآية 9) ونظيرها من القصص الشعري القديم وماله من علاقة بالتوجيه الأخلاقي.

مع ما نعلمه من القصة عموماً أنها في الأصل فن أدبي كباقي الفنون الأخرى. وقد بنيت عليها في العصور المتأخرة أجماد كثير من الأعلام الذين تخصصوا فيها.

وكذلك كان أمر محتوياتها التي تخاطب بها جمهورها. مع أن ذلك يتكيف مع الواقع الذي يعيش فيه القصاص لتقرير أفكاره ما بين مباشرة و تلميح و ابتكار أساليب تعينه على إيصال ما يؤمن به من العقائد لمن يخاطبهم. تتحكم في ذلك عوامل شتى منها الأخلاق و الدين و هما عاملان اجتماعيان مهمان. إضافة إلى الواقع السياسي الذي قد يكون أحيانا قاسياً و مكلفاً بسبب ما يترتب على ملاسته من مخاطر تأثيراً وتأثراً . ذلك أن كثيراً من

محترفي هذا الفن كانت أعمالهم سببا مباشرا في ما أصابهم من ضرر من خلال تعارض أفكارهم مع الواقع السياسي الذي لا يرضى بما تحمله أعمالهم من أفكار . و هو ما جلب عليهم كثيرا من التضييق ماديا و معنويا ولنا في حياة كثير من القصاصين و المسرحيين عبر من خلال ما عانوه من تضييق بسبب ما باحت به إنتاجاتهم الفكرية .

إضافة إلى ما سبق يمكننا أن نصل إلى ما يلي :

1- إن القصص في القرآن الكريم أداة تبليغ كباقي الأدوات الأخرى من الأمر و النهي و التحذير ...

2- إن المتعة الفنية حاصلية في النص القرآني آليا بحكم سموه و بديع تركيبه .

3- إن الأصل في النص القصصي أدبيا إنما يكون مبتغاه أساسا المتعة الفنية مع ما يتجشمه القصاصون من شحذ همهم و قدراتهم الفكرية و اللغوية لإظهار مدى تفوقهم في أعمالهم .

4- و إن كان أكثر الأعمال القصصية حاليا - إن لم نقل كلها - يبنى ثريا فإنه كان في القديم بالإمكان أن يرد شعرا دون أن ينتقص ذلك من البراعة الفنية لدى الشاعر في نسج قصته على هذا المنوال.

5- إن الجانب الفني في القصة الأدبية شعرا كانت أو نثرا يتفاوت بين قصاص وآخر بحسب القدرات التعبيرية والتحكم في الآليات المستخدمة في هذا المجال.

6- إنه إلى جانب الهدف الفني من القصة - خاصة الشعرية القديمة - قد يكون ما تأتي به مؤثرا على السلوك بقصد أو بغير قصد.

7- إن تأثير القصة على السلوك لا يمكن أن يكون دائما في الاتجاه الإيجابي. وقد رأينا ذلك في غواية وجموح كثير من الشعراء القصاصين الذين زخرت أعمالهم بما لا يمكن أن يصدقه العقل وهذا على عكس ما يهدف إليه القرآن الكريم من قصصه.

من هنا يظهر لنا ما يتميز به العمل القصصي من خطر وتأثير في سلوك الأفراد وربما المجتمعات أيضا. وهو ما يدعو إلى الاهتمام بمثل هذه الدراسات وإيلائها ما ينبغي أن يلائمها من الاهتمام حتى تؤدي ما يناط بها من المهام . ولعل عملنا هذا قد يفتح الطريق أمام بعض المهتمين بهذا المجال للخوض فيه بعمق.

قائمة المراجع :

كتب

1. القرآن الكريم رواية ورش . مؤسسة الطباعة الشعبية للجيش الجزائر 1426هـ/2005
2. بهجة المجالس وأنس المجالس . المؤلف : ابن عبد البر . مصدر الكتاب : موقع الوراق (1/213)
3. تفسير القرآن العظيم . إسماعيل ابن كثير . دار إحياء التراث العربي . بيروت. 1985. ط1
4. خزانة الأدب . المؤلف : عبد القادر البغدادي . مصدر الكتاب :
5. المنجد في اللغة و الأعلام . المؤلف لويس معلوف . المطبعة الكاثوليكية في بيروت . 15 مارس 1969م.
6. كتاب في تاريخ الأدب الجاهلي - في الحياة والناس - ص 425 - المكتبة الشاملة الحديثة
7. كتاب قاموس مصطلحات الأدب . المؤلف محمد بو زاوي . مؤسسة الإخوة مدني 2003

مقال

7. تاريخ كتاب «كليلة ودمنة» في الآداب الشرقية والغربية (عبد الحميد صبحي ناصف)
مايو 30، 2013. صحيفة الحياة اللندنية

مواقع الإنترنت

8. موقع الوراق (2/323) (<http://www.alwarraq.com>)
- . . المكتبة الشاملة الحديثة . أرشيف ملتقى أهل الحديث . أرشيف ملتقى أهل الحديث - 3 . (ج 131 ص 272)
9. موقع يوم جديد <https://yomgedid.kenanaonline.com/posts/6333>